الجنوب الصامد ، الجنوب الجريح ، الجنوب المزق والمشرد،قرى الجنوب الثكلى بابنائها ، التي تدفع ضريبة الدم في كل يوم بل في كل ساعة، كيف يعيش ابناؤها المقيمون منهم والنازحون ؟

المقيمون يعانون من الاعتداءات الاسرائيلية المستمرة ومن قمع وملاحقات القوى القمعية التعسفية وانتزاءات ازلام السلطة والاقطاعيين بالاضافة الى معاناتهم من ضيق سبل العيش وقلة الموارد . حتى اصبح اهالي الجنوب يعيشون في غربة قاتلة لا يرون من الدولة اي اهتمام اللهم سوى اهتمامها باخضاعهم وارهابهم مرة بالغصا الاسرائيلية ومرة بعصاها ، ان لم نقل برصاص الاثنين معا .

النازحون الذين يعيشون في مستنقعات البؤس والحرمان في ضواحي مدينة بيروت وفي احيائها الشعبية . والذين يعانون من الاضطهاد والاستغلال المباشر من قبل ارباب العمل واصحاب المصالح المستغلة ، يقضون يومهم بالعمل الشاق المتعب لقاء اجر بالكاد يؤمن لهم لقمه العيش ، وهم ايضا غير سالمين من اعتداءات وافتراءات القوى القمعية وملاحقاتها . وكذلك سياسة وازلام الاقطاع السياسي لا يرحمونهم حتى في مقر نزوحهم حيث تستمر عملية ابتزازهم للنازحين وافتراءاتهم مما يجعل النازحين يرزحون تحت نير الضغط الاجتماعي الجائر والسياسة الرجعية .

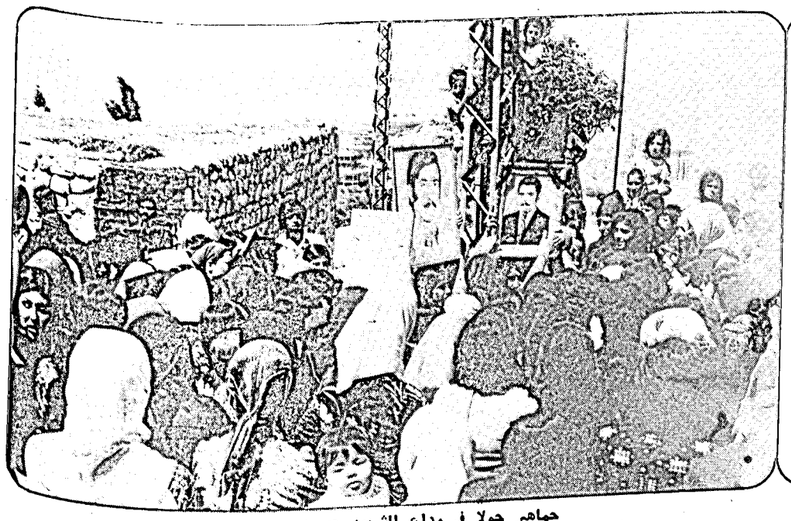

جماهير حولا في وداع الشهيد حسين

"الهدف" في قرية حولا مع عائلة الشهيد البطل حسين مصطفى

عائلة الشهيد مصممة على الاستمرار في العطاء العظيم من اجل انتصار الفقراء على الاغنياء

اعداد : زينب

ومن المعروف ان ابناء الجنوب المقيمون والنازحون هم في غالبيتهم من الطبقات المسحوقة التي تقدم قوافل الشهداء في سبيل القضية الوطنية والقضية القومية،والتي لم تبخل يوما في التضحية من اجل الدفاع عن كرامة الوطن وكرامة ابنائه .

هذه الطبقات التي قدمت الشهيد تلو الشهيد ان في تصديها للاعتداءات الاسرائيلية او في تصديها لاعتداءات الرجعيين والعملاء اثبتت انها هي الجديرة بالحياة الحرة الكريمة، لانها انجبت وتنجب باستمرار الثوار الذين تعلموا كيف يقاتلون اعداءهم ، كيف يحطمون اغلالهم ، كيف يدمرون ويسحقون بايديهم وتحت اقدامهم مستغليهم ومضطهديهم، لان اضطهادهم واستغلالهم لم يزدهم الا باسا وقوة ، لم يزدهم الا عزيمة واصرارا ، اقداما واعتزازا ، مهما تكالبت الطبقات المستغلة الرجعية ومهما ازدادت شراستها فانها لم ولن ترهبهم . وهم على استعداد دائم للتضحية لانهم يعلمون جيدا انهم هم الرابحون في النهاية وان خسروا شيئا فانما يخسرون اغلالهم .

وبين ضيق العيش ، وضياع الكرامة ، ومرارة النزوح ، وفي احضان البؤس والتشرد والنكبة ولد حسين مصطفى الثائر الذي استشهد دفاعا عن قضية يؤمن بها ، الا وهي قضية الطبقات المستغلة المظلومة ، قضية الارض السليبة والانسان المشرد .

حسين مصطفى ابن قرية « حولا » الجنوبية التي شهدت احتلال الصهاينة لها عدة مرات وعانت من ويلات همجية اعتداءاتهم ، وقدمت ١١٥ شهيدا من خيرة ابنائها . هذه القرية التي ما زالت حتى الان يفرض عليها الاحتلال غير المباشر حيث يتمتع الجنود الاسرائيليون بحرية الحركة والتنقل فيها وبكافةقرى المنطقة دون اية معارضة من قبل اهل النظام ، مما جعل ابناءها يعيشون في ظل سلطتين قمعيتين فاشيتين ، سلطة اسرائيل وعملائها من جهة وسلطة الدولة وازلام الاقطاع السياسي من جهة اخرى ، — « ونعم العيش » .

في هذه القرية ولد الشهيد وفي احضان عائلة منكوبة فقيرة ترعرع ... عائلة عرفت بوطنيتها وبتضحياتها . حيث كان ابنا لاب ولاعمام شاركوا بحرب الـ ٤٨ وبالثورات السابقة واللاحقة . لاقوا على يد اسرائيل العذاب حيث دمرت لهم بيوتهم وموارد رزقهم وقتلت منهم ما قتلت .

عانوا من الاضطهاد وظلم الاقطاع والاقطاع السياسي من سنة ٤٨ وما قبلها حتى سنة الـ ٥٩ وهي السنة التي اضطروا فيها للنزوح والذين ما زالوا يعانون منه في منفاهم « النبعة » .

بعد نزوحهم عاشوا كما يقال من قلة الموت حيث لم يكن لهم اي مورد سوى ما يدره عمل الوالد بائع الخضار المتجول الذي لم يستطع بما يجنيه ان يسد رمق افراد عائلته وافواههم الجائعة. عائلته المؤلفة من الـ ١٢ نفس . مما اضطر الوالدة لان تبحث بين جدران الابنية التي تشاد في المنطقة وضواحيها عن اكياس ورق الترابة لتعطيها لابنائها ليبيعوها في الاسواق . كما اضطرت العائلة ايضا لدفع بناتها للعمل في المعامل المجاورة وهي صغيرات.

من هذه الصورة نستطيع ان نعرف ان عائلة الشهيد عانت ليس من اعتداءات اسرائيل وجود الاقطاع السياسي فقط ، بل ايضا من الاضطهاد الاجتماعي ، ان من قبل ارباب العمل او من قبل الطبقات المستغلة . وبعد معرفتنا لظروف معيشة العائلة ، فهل من الغرابة ان يكون ابناء هذه العائلة وبناتها في طليعة الرافضين لحياة الذل والخنوع وفي طليعة المناضلين الشرفاء ، والمدافعين عن حقوق الطبقات المسحوقة والمؤمنين بقضيتهم ، والباذلين كل غال ونفيس في سبيل تحقيق اهدافهم الوطنية والاجتماعية ، او في طليعة قوافل الشهداء التي تقدمها هذه الطبقات ؟

حسين مصطفى هو احد اخوته العشرة فتيانا وفتيات الذين نذروا انفسهم قربانا لقضية . هو اخ لشهيد سقط في منفى وطنه « النبعة » على يد ازلام الاقطاع السياسي منذ اقل من خمسة اشهر ، وهو استشهد ايضا في بؤرة الثورة « النبعة » على يد الرجعيين عملاء اسرائيل عندما كان يجسد ابهاه بالدفاع عن ابناء منطقته الفقراء والمحرومين ضد مصاصي دمائهم واعداء قضيتهم . كما استشهد ابن اخيه هناك .

قرية « حولا » التي لم تبخل يوما في عطائها استقبلت شهيدها حسين كما استقبلت اخاه من قبله والشهداء الابرار الذين قضوا نحبهم دفاعا عن ارضهم وكرامتهم بالورود والزغاريد وبدموع الامل والرجاء في العيش الرغيد .

وفي يوم الاحد الماضي احتفلت قرية « حولا » ورفاق

الرفقات درب الشهيد بذكرى اسبوعه حيث القيت الخطب وتعالت الاناشيد التي تُعاهد الشهيد وتؤكد باسما حسين واخوه وكافة الشهداء من قبلهما مهما غلا الثمن وكثرت التضحيات، ومهما صعبت الظروف.

يوم الاحد في ١٢ تموز كان لمجلة « الهدف » لقاء مع عائلة الشهداء في قريتهم ، العائلة التي قدمت اثنين من ابنائها والتي تبدي استعدادها لتقديم الآخرين ، العائلة التي اصبحت المثل الذي ينبغي ان يحتذى به .

وهناك في بيت احد اقربائهم التقينا مع افرادها جميع افراد العائلة يرتدون اللباس الاسود . وفي احد اركان الغرفة يجلس والد الشهيدين وهو في العقد السابع من عمره وبقربه تجلس الام الثكلى وهي في العقد الخامس من عمرها وبناتها وبنوها من حولها يجلسون . ورغم فجيعتهم فانه لم يظهر على ملامح وجوههم علامات اليأس والقنوط .

لقد فوجئنا بتعزيتهم لنا ولرفاقه ورفيقاته لفقدانه ليس كابن لهم بل كرفيق ومناضل خسروه. ان الروح العالية التي لمسناها من خلال احاديثهم والتي كنا نتصور ان الحزن والاسى وكبر الفجيعة قد يخفيها في لحظات الضعف هذه ، قد زادت ايماننا بقدرة جماهيرنا الشعبية المسحوقة على التخلص من سيطرة القوى الطبقية الرجعية المستغلة ان عاجلا ام آجلا .

وبعد ان استفاضوا بالحديث عنواقعهم الاجتماعي والامر وما عانوه من فقر وبؤس وملاحقات وافتراءات ازلام الاقطاع السياسي الذي سلط مرتزقته للاحقة اهالي قرية حولا وخاصة ابناء هذه العائلة ، النضال المشاكل واختلاق الاكاذيب لزجهم في السجون والمباسهم تهم تتراوح عقوبتها بين الاعدام والسجن المؤبد او السجن عدة سنوات .

وقالت لنا الام البطلة ان ابناءها تعرضوا لدخول السجن عدة مرات دون اثبات اية تهمة ضدهم ، كما اردت لنا كيف قضت العائلة منذ فترة غير بعيدة ، مدة تزيد على التسعة اشهر وهي تتنقل من سجن الى سجن لزيارة ابنائها الخمسةالموزعين على سجون فلسطين بعد ان الصق زبانية الاقطاع السياسي بهم تهم باطلة حيث لا جريرة لهم سوى انهم يعارضون بممارساتهم المشينة وسياسة الاقطاع السياسي المتبعة ضد ابناء الجنوب عامة وابناء اقربائهم الوطنيين خاصة ، والتي يقف فيها الاقطاع السياسي وراء الفاء اي مشروع يمكن ان يستفيد منه ابناء القرية لانهم غير موالين له ويرفضون الانصياع لمطالبه وجلاد ابناء الجنوب .

وطالت الاحاديث وتشابكت بين افراد العائلة كل يروي قصة ظلم تعرض لها ان في مجال عمله او في مسكنه.

وتبين لنا من الاحاديث الدائرة مدى وعيهم السياسي لاسبابهم الحقيقية اسباب بؤسهم وشقائهم ، تبين لنا مدى اصرارهم على تحدي الواقع الاجتماعي الذي يعانون منه والسعي للخلاص ان بانتصار ارادتهم ، ارادة الشعب او بفنائهم جميعا .

واراد منهم ان يخبرونا نبذة عن حياة شهيدهم حسين . فقالت اخته الكبرى :

« انه كان مثال الانضباط والالتزام بقضية ابناء شعبه . روت لنا حديثه لرجال الدرك الذين جاؤوا يوما لاعتقاله بتهمة قتل احد المواطنين بناءا لدعوى تقدم بها مرتزقة الاقطاع السياسي ، حيث قال لهم: لماذا اقتله وهو مثلي يقتل كل يوم من العوز والاضطهاد ، لماذا اقتله وهو ابن هؤلاء الفقراء المستغلين . لماذا اقتله وانا اعرف انه قد يصبح يوما من الايام مثلي . لماذا اقتله انني لا اعرفه ولا اعرف اسمه قط ؟ هكذا كان ينظر للفقراء من ابناء شعبه . لقد تعرض عدة مرات للملاحقة كوطني ، دخل عدة معارك زنزانات السلطة بتهم باطلة ، خرج مرتين بكفالة مالية ، ثم ظهرت براءته بعد ان افتضح امر المكيدة ومدبروها الذين ارادوا ايقاعه بها .

في جعبته كان بائع اكياس ، اكمل دراسته الابتدائية فقط ولم يستطع المتابعة بسبب الظروف الاجتماعية القاسية التي كانت تعاني منها عائلته وانعدام توفر المدارس الرسمية الكافية في منطقته . لكنه كان محبا للمطالعة وكان ينكب على دراسة الكتب الادبية والسياسية والعلمية لانه كان يرغب في تحقيق امنيته في ان يكون كاتبا . وبالفعل فقد كتب عدة مقالات في بعض المجلات منها مجلة الهدف .

شارك في جميع النضالات الوطنية والمطلبية ، اشترك في جميع المعارك الوطنية التي خاضتها جماهيرنا الشعبية ، وكان في طليعة المناضلين . كان يؤمن بالكفاح المسلح طريقا للتحرير . كان يشعر بالمسؤولية تجاه رفاقه وابناء طبقته حيث كان قبلتهم ومستشارهم بكل صغيرة وكبيرة . كان يقيم الندوات لتوضيح طابع المعركة التيخاضتها جماهيرنا في النبعة على انها معارك طبقية وطنية ، وليست طائفية .

ذكرتنا والدته كيف انه تعرض يوما للضرب المبرح من قبل رجال الدرك عندما وقف يوجه احدهم ، حين تطاول على زوجة اخيه المعتقل بالشتائم ، وصفت لنا مدى وحشيتهم في الضرب والدموع تنهال على وجنتيها بغزارة والكلمات تغص بالشهقات ((دخيلكم ما تذكروني كيف شفتوا)) وخرجت من الغرفة تشهق باكية .

هذه المآسي التي عاشتها هذه العائلة وكل فرد فيها جعلت من حسين ثائرا مثابرا لا يفكر بنفسه قط بل يجتمع افراد طبقته حيث انه كان اثناء الايام العادية ينسى نفسه ينسى تناول طعامه ودوائه في اكثر الاحيان .

سألناهم هل تعتقدون ان هذا الواقع المرير الذي تعيشونه سيستمر ؟

اجابت احدى اخواته بقولها : نحن فقدنا ابو جمال — تعني اخاها الاكبر وفقدنا حسين ليس من اجل ان نبقى الحالة على ما هي اي ان نبقى مظلومين محرومين . نحن نعلم انه يوم القضاء على الظالمين من رجعيين وعملاء الى سالبي ارضنا آت لا ريب فيه وهذا هو عزاؤنا الوحيد .

هل تعلمون في سبيل ماذا استشهد حسين ؟

اجاب عمه واخوه استشهد في سبيلنا وفي سبيل كل الفقراء وفي سبيل فلسطين .

هل تشعرون بندم على ما قدمتموه من تضحيات ام هل ان الارهاب الذي يمارس ضدكم قد أخذ منكم ماخذا ؟

اجاب الوالد : (ليش بدنا نندم ونحنا بقدمين شهداء ثلاثة من فلذات اكبادنا ونحنا على استعداد لنقدم البقية كلهم)).

اجابت الام : ((بالعكس موت اولادي لا يعني انو نحنا نندم ولا الارهاب بيخوفنا لان اولادي ماتوا شهداء وموتهم بيدفعنا اكثر لنحقد على اللي قتلوهم)) .

واجابت اخت الشهيد الكبرى : اننا مستعدون لاستعمال مسدس حسين مثلما

عائلة الشهيد في لقاء الهدف